

هذا فيما يتعلق بممدوحه (سيف الدولة) ، أما عند المتبنى نفسه فكان للبخيل معه شأن آخر ، ابتداءً من حنينه إليها ، إلى توحيده معها ، إلى التماس ذاته من خلالها ، إلى تصوير ذلك المعادل الذى لم يطل بحثه عنه إيّان مرضه فى مصر فى إطار أزمته ، فكان ذلك الجواد العربى الأصيل الذى صور نفسه من خلاله ، وقد رفض تشخيص الطبيب ساخراً منه ، ليتوقف عند تشخيصه النفسى الذى لا يدركه أحد سواه من خلال تصويره لطبيعة هذا الجواد حين تتلاقى مع طبيعته هو ، فهو جواد أبى لا يرى المجد إلا فى الميدان والتدفع عبر أهواله ، كما يجد مرضه فى الوقوف أو التخاذل عن الخروج ، أو - بالتحديد - فى العجز عن تجاوز الإقليم الذى ضاق به إقامةً وحسباً :

يقولُ لىَ الطبيبُ أَكَلتَ شَيْئاً وداؤُكَ فى شِرابِكَ والطَّعامِ
ومأ فى طَبِّهِ أَنى جِوادُ أَضْرَبُ بجِسمِهِ طوْلُ الجِمامِ
تَعوْدُ أَن يُغَيَّبُ فى السِرايا ويدخُلُ من قِتامِ فى قِتامِ
فأَمْسِكَ لا يُطالُ له فَيَرعى ولا هو فى العَلِيقِ ولا اللُّجامِ

فكانت صورة الخيول أقرب إلى ذهنه من كل ما سواها ، وقد اعتد بنفسه معها فى جوف الصحراء ، فبدأ بها بداية فارس عملاق أكمل من واقع صلته بها شاعريته ومجده المرتقب :

الخَيْلُ واللَّيْلُ والبِيداءُ تَعْرِفُنِى والسيفُ والرْمحُ والقِرطاسُ والقَلَمُ
وبذا تعددت أرصدة الفروسية على امتداد رحلة شعرنا القديم ، فكانت الرمز ، وكانت الحقيقة ، وكانت الحلم والواقع ، والوسيلة والغاية ، ثم تحولت إلى رموز الصحة وتجاوز المرض والسقم ، إلى غير ذلك من زحام المعانى التى استوقفت شاعراً مثل أمل دنقل ، فبدأ فيها قريباً جداً من المتبنى بدليل قصيدته التى نظمها « مع المتبنى فى مصر » ، ويبدو أنه قد توقع تلك المعية التى صحبه فيها عبر رحلة مرضه التى استوحى منه فيها حديث الخيول التى وظفها فى إطار تجرية المرض أيضاً ، فكانت ضمن أوراق الغرفة رقم (ثمانية) ، وفيها استوقفته مشاهد الماضى الذهبى ذلك الذى كانت الخيول أساساً فيه تسجل أوج قوتها وزهوها ، من واقع ما تم فتحه على سناها ، فكانت كما صور فى قصيدته « الخيول » :

الفتوحات - فى الأرض - مكتوبة بدماء الخيول .